سورةُ الانفِطارِ
من آية (10) إلى آية (19)
الجزء الثاني

المعنى الإجمالي من الآية (1) إلى الآية (19): افتَتَح اللهُ تعالى هذه السُّورةَ الكريمةَ بالحَديثِ عن أشراطِ السَّاعةِ، فقال تعالى: إذا السَّماءُ انشَقَّت وتَصَدَّعَت يومَ القيامةِ، وإذا الكواكِبُ تَساقَطَت وتفَرَّقَت، وإذا البِحارُ فُجِّرَت واختَلَط بَعضُها ببَعضٍ، فصارت جميعُها بحرًا واحِدًا، وإذا القُبورُ أُثيرَت وقُلِبَ ما في بَطْنِها مِن الأمواتِ، فبُعِثُوا للحِسابِ- إذا وقَعَت تلك الأمورُ عَلِمَت كُلُّ نفْسٍ حِينَها بجميعِ أعمالِها مِن خَيرٍ وشَرٍّ.

يقولُ تعالى معاتبًا الإنسانَ المفرِّطَ في حقِّ ربِّه: يا أيُّها الإنسانُ ما الَّذي خَدَعَك وسوَّلَ لك التَّجَرُّؤَ على الكُفْرِ برَبِّك الكريمِ وعِصيانِه؟! وهو الَّذي أوجَدَك فجَعَلك سَوِيًّا مُعتَدِلَ الخِلْقةِ، وركَّبك في أيِّ صُورةٍ شاء أن تكونَ عليها!

ثمَّ يبيِّنُ اللهُ تعالى سببَ الغُرورِ والغفلةِ، فيقولُ: كلَّا، ليس هناك شيءٌ يَقتَضي غُرورَكم باللهِ تعالى، ولكِنَّ تكذيبَكم بالبَعثِ والحِسابِ هو الَّذي حَمَلكم على الكُفْرِ والفُسوقِ والعِصيانِ.

ثمَّ يُقرِّرُ سُبحانَه أنَّ الملائكةَ تَكتُبُ ما يَعمَلُه كلُّ إنسانٍ، فيقولُ: وإنَّ عليكم -أيُّها النَّاسُ- ملائِكةً حافِظينَ كِرامًا يُراقِبونَكم، ويُسَجِّلونَ أعمالَكم، ويَعلَمونَ ما تَفعَلونَ مِن قَولٍ أو فِعلٍ.

يقولُ تعالى مبيِّنًا أحوالَ النَّاسِ يومَ القيامةِ: إنَّ المؤمِنينَ الطَّائِعينَ لَفِي جَنَّةٍ يَتنَعَّمونَ فيها، وإنَّ الكُفَّارَ العُصاةَ لَفِي نارِ الجَحيمِ، يَدخُلونَها ويُقاسُونَ حَرَّها يومَ الحِسابِ والجَزاءِ، وما هم بخارِجينَ منها، بل هم مُلازِمونَ لها أبَدًا.

ثمَّ يقولُ تعالى مبيِّنًا شدَّةَ هَولِ يَومِ القيامةِ: وما أعلَمَك ما يَومُ الحِسابِ والجَزاءِ، ثمَّ ما أعلَمَك بحقيقةِ ذلك اليَومِ العَظيمِ المهُولِ؟! ذلك اليَومُ الَّذي لا يَملِكُ فيه أحَدٌ نَفْعًا لِغَيرِه، ولا إنقاذَه مِمَّا هو فيه، والمُلْكُ والتَّصَرُّفُ يومَئذٍ للهِ وَحْدَه.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلَا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) .

قال أبو السعود: أيُّ شَيْءٍ خَدَعَكَ وجَرَّأكَ عَلى عِصْيانِهِ وقَدْ عَلِمْتَ ما بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الدَّواهِي التّامَّةِ والعَراقِيلِ الطّامَّةِ، وما سَيَكُونُ حِينَئِذٍ مِن مُشاهَدَةِ أعْمالِكَ كُلِّها ؟!

الذي أوجدك بعد أن كنت عدمًا، وجعلك سويّ الأعضاء . المختصر في التفسير

قال ابن جُزَيّ: عدل أعضاءك وجعلها متوازية فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلاء والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة.

كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ

كَلَّا ردْعٌ عن الاغترارِ بكرَمِ اللهِ تعالَى، وجعْلِه ذَريعةً إلى الكُفرِ والمعاصِي، مع كَونِه مُوجِبًا للشُّكرِ والطَّاعةِ.

قال السعدي: أي: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء.

ليس الأمر كما تصورتم – أيها المغترون – بل أنتم تكذبون بيوم الجزاء فلا تعملون له. المختصر في التفسير

إذا كنا مؤمنين بيوم الجزاء ونفكر فيه، من أين أتت هذه الجرأة على حدود الله؟ كيف ينام مسلم عن صلاته؟ أو ينشغل بمشاهدة مباراة أو مسلسل ..... أو ما تعلموا من متابعة مواقع التواصل فيخرج وقت الصلاة وهو لاهي لاعب؟ وإذا وعظه واعظ قال الله غفور رحيم وانتم متشددون، مع أنه سبحانه القائل في كتابه: فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، انظروا في فريضة الحجاب وكيف فعلوا البنات كاسيات عاريات وإذا وعظها واعظ قالت أنتم تقولون ما لا تعلمون فالله أرحم من أن يعذبني هل يترك الزاني والسارق... وغيرهم ويحاسبني على حجابي هي تجاهلت قول الله العظيم: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، هي لم تبدي زينتها هي كشفت عورتها وزين لها الشيطان سوء أعمالها وقال لها لن يحاسبك فالأمر بسيط ..... وهذا غيض من فيض، ولكم أن تجولوا بتفكيركم في الاختلاط وسماع المعازف وحفلات الفسق والفجور...وكلهم يفعل أغتراراً بكرم الله وعفوه، والله يأمرهم بالكف والانتهاء ويقول لهم كلا يكفي جرأة وسوء أدب في التعامل مع حلمه وكرمه، فهل هناك عاقل يستجلب ما عند الله من رحمات وخيرات بمعصيته وغضبه... الله المستعان

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ﴿10﴾

(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) أي: وإنَّ عليكم -أيُّها النَّاسُ- ملائِكةً حافِظينَ يُراقِبونَكم، ولا يُضَيِّعونَ شَيئًا مِن أعمالِكم. موسوعة التفسير

قال السعدي: وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتجلوهم وتحترموهم.

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ ﴿11﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا أثبَتَ لهم الحِفظَ، نَزَّهَهم عن الزِّيادةِ والنَّقْصِ، فقال (كِرَامًا كَاتِبِينَ) أي: هم ذَوُو كَمالٍ وَجمالٍ في صِفاتِهم الخِلْقِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ، لا يَظلِمونَكم، ويَكتُبونَ جميعَ أعمالِكم. موسوعة التفسير

سُؤالٌ: ما الحِكمةُ في أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وَكَّلَ بنا كِرامًا كاتِبينَ، يَعلَمونَ ما نَفْعَلُ، مع أنَّ اللهَ تعالى يَعلَمُ كُلَّ شَيءٍ؟

قال ابن تيمية: الجوابُ: كلُّ هذا مِن أجْلِ بيانِ كَمالِ عِنايةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ بالإنسانِ، وكمالِ حِفْظِه تبارك وتعالى، وأنَّ هذا الكونَ مُنَظَّمٌ أحسَنَ نِظامٍ، ومُحْكَمٌ أحسنَ إحكامٍ، واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿12﴾

(يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) أي: يَعلَمُ أولئك الملائِكةُ المُوَكَّلونَ بكِتابةِ أعمالِكم كُلَّ ما تَفعَلونَه؛ مِن قَولٍ أو فِعلٍ، خيرٍ أو شَرٍّ، ظاهِرٍ أو باطِنٍ. موسوعة التفسير

قال ابنُ عثيمين: (يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ إمَّا بالمشاهَدةِ إنْ كان فِعلًا، وإمَّا بالسَّماعِ إن كان قولًا، بل إنَّ عَمَلَ القَلبِ يُطلِعُهم اللهُ عليه فيَكتُبونَه، كما قال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَن هَمَّ بالحَسَنةِ فلم يَعمَلْها كُتِبَت حسنةً، ومَن هَمَّ بالسَّيِّئةِ ولم يَعمَلْها كُتِبَت حَسَنةً كامِلةً» [البخاريُّ «6491»، ومسلم «131»]).

قال ابنُ عثيمين: يقولُ في كتابِه الكريمِ: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ [ق: 16] ، فهو سُبحانَه عالِمٌ بذلك، ويجوزُ أنْ يُطْلِعَ اللهُ هؤلاء الملائكةَ على ما عَلِمَه مِن حالِ الشَّخصِ، ويكونُ عِلْمُهم بذلك بواسطةٍ مِن عِلْمِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، ويجوزُ أنْ يَعلَموا ذلك بما يَحصُلُ للقلبِ مِن حركةٍ؛ لأنَّ الهَمَّ حركةُ القَلبِ، فهو يَهُمُّ بالشَّيءِ أي: يتحَرَّكُ، فيَعلَمونَ ما يَحصُلُ بحركةِ القلبِ، وإذا كان الشَّيطانُ يجري مِن ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ، ويَصِلُ إلى شَغَافِ قلْبِه؛ فلا غَرْابة أنْ يَعْلَمَ الملائِكةُ بما يَحْدُثُ للإنسانِ في قلْبِه.

قال الشنقيطي: أنَّه قد أقام اللهُ عليكم ملائِكةً كِرامًا يَكتُبونَ أقوالَكم وأفعالَكم، ويَعلَمونَ أفعالَكم، ودَخَل في هذا أفعالُ القُلوبِ وأفعالُ الجوارحِ، فاللَّائِقُ بكم أن تُكرِموهم وتُجِلُّوهم وتحتَرِموهم، فعلى المسلِمِ إذا خلا بالأمرِ وسَوَّل له الشَّيطانُ أن يَفعَلَ فاحِشةً لأنَّ النَّاسَ لا يَرَونَه، وأنَّه لا يَطَّلِعُ عليه أحدٌ، كالَّذي يخلو بامرأةٍ في محَلٍّ مقفولٍ، يأمَنُ عُيونَ النَّاسِ فيه، فيُسوِّلُ له الشَّيطانُ الرِّيبةَ معها- عليه أن يَنظُرَ أنَّ اللهَ رَقيبٌ عليه، وأنَّ الملائكةَ الكِرامَ معه فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ [الأعراف: 7] ، وعلى الشَّخصِ أن يَعبُدَ اللهَ كأنَّه يراه، فإنْ لم تكُنْ تراه فإنَّه يراك.

قال ابن القيم: "أَي اسْتَحْيُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْحَافِظِينَ الْكِرَامِ وَأَكْرِمُوهُمْ، وَأَجِلُّوهُمْ أَن يَرَوْا مِنكمْ مَا تَسْتَحْيُونَ أَنْ يَرَاكُمْ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ، وَالْمَلَائِكَةُ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ، وَإِذَا كَانَ ابْنُ آدمَ يَتَأَذَّى مِمَّنْ يَفْجُرُ وَيَعْصِي بَيْنَ يَدَيْهِ -وَإِنْ كَانَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ- فَمَا الظَّنُّ بِأَذَى الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ وَاللَّه الْمُسْتَعَانُ".

عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ: (إنَّ مَن كان قبلَكم كانوا يكرَهونَ فُضولَ الكلامِ، وكانوا يعدُّونَ فضولَ الكلامِ ما عدا كتابَ اللهِ تعالى أنْ يُقرأَ، أو أمرًا بمعروفٍ أو نَهيًا عن منكرٍ، أو تنطِقَ في حاجتِك في معيشتِك التي لا بدَّ لك منها، أتُنكِرونَ [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ]، [عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] ؟! أمَا يَستحي أحدُكم لو نُشِرتْ عليه صحيفتُه التي أملاها صدرَ نهارِه أكثرَ ما فيها ليس مِن أمرِ دينِه ولا دُنياه؟!).

(إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19) .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿13﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: لَمَّا وَصَف تعالى الكِرامَ الكاتِبينَ لأعمالِ العِبادِ؛ ذَكَرَ أحوالَ العامِلينَ، وقَسَّمَهم قِسمَينِ

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) أي: إنَّ المؤمِنينَ الطَّائِعينَ الملازِمينَ لفِعلِ الخَيراتِ وأعمالِ البِرِّ والإحسانِ: لَفِي جَنَّةٍ يَتَنَعَّمونَ فيها. موسوعة التفسير

قال السعدي: المراد بالأبرار، القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ و في دار القرار.

إشارةٌ أنَّ بِرَّ القَلْبِ يُوجِبُ نعيمَ الدُّنيا.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ﴿14﴾

(وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) أي: وإنَّ الكُفَّارَ العُصاةَ الَّذين قَصَّروا في حُقوقِ اللهِ تعالى وحُقوقِ عِبادِه: لَفِي نارٍ شَديدةِ التَّوَقُّدِ والتَّأجُّجِ. موسوعة التفسير

قال الرازي: تهديدٌ عَظيمٌ للعُصاةِ. إشارةٌ أنَّ فُجورَ القَلبِ يُوجِبُ جَحيمَ الدُّنيا.

قال ابن القيم: مِن طريقةِ القُرآنِ الكريمِ التَّصريحُ بذِكْرِ ثوابِ الأبرارِ والمتَّقينَ، والمخلِصينَ والمحسِنينَ، ومَن رَجَحَتْ حسناتُهم، وبذِكْرِ عِقابِ الكُفَّارِ والفُجَّارِ، والظَّالِمينَ لأنْفُسِهم، ومَن خَفَّتْ موازينُهم، ويَسكُتُ عن القِسْمِ الَّذي فيه شائبتانِ، وله مادَّتانِ؛ هذه طريقةُ القرآنِ، كقولِه تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ، وقولِه تعالى: فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات: 37 - 41] ، وهذا كثيرٌ في القرآنِ. قالوا: وفي السُّكوتِ عن شأنِ صاحِبِ الشَّائبتَينِ تحذيرٌ عظيمٌ وتخويفٌ له بأنَّ أمْرَه مُرْجَأٌ إلى اللهِ تعالى، وليس له عليه ضَمانٌ، ولا له عِندَه وَعْدٌ، فلْيَحْذَرْ كلَّ الحذرِ، ولْيُبادِرْ بالتَّوبةِ النَّصوحِ الَّتي تُلْحِقُه بالمضمونِ لهم النَّجاةُ والفَلاحُ.

قال مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ : " إِنَّ الأَبْرَارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ تَغْلِي قُلُوبُهُمْ بِأَعْمَالِ الْفُجُورِ ، وَاللَّهُ يَرَى هُمُومَكُمْ ، فَانْظُرُوا مَا هُمُومُكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ".

قال ابن القيم: قُلوبُ أهلِ البِدَعِ والمعْرِضِينَ عن القُرآنِ، وأهلِ الغَفْلةِ عن اللهِ، وأهلِ المعاصي: في جَحيمٍ قبْلَ الجَحيمِ الأكبرِ، وقُلوبُ الأبرارِ في نَعيمٍ قبْلَ النَّعيمِ الأكبَرِ؛ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ، وهذا في دُورِهم الثَّلاثِ -الدُّنيا، والبَرْزَخِ، والآخرةِ-؛ ليس مختصًّا بالدَّارِ الآخرةِ، وإنْ كان تمامُه وكمالُه وظهورُه إنَّما هو في الدَّارِ الآخِرةِ، وفي البَرزخِ دُونَ ذلك، كما قال تعالى: وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ [الطور: 47]، ... وفي هذه الدَّارِ دونَ ما في البَرزخِ، ولكِنْ يَمْنَعُ مِن الإحساسِ به الاستِغراقُ في سَكْرةِ الشَّهَواتِ، وطَرحُ ذلك عن القَلبِ، وعدَمُ التَّفكُّرِ فيه ؛ فلا تَحسَبْ أنَّ قَولَه تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ مقصورٌ على نعيمِ الآخِرةِ وجَحيمِها فقط، بل في دُورِهم الثَّلاثةِ كذلك، فهؤلاء في نعيمٍ، وهؤلاء في جحيمٍ،

وهل النَّعيمُ إلَّا نَعيمُ القَلبِ؟ وهل العَذابُ إلَّا عذابُ القَلْبِ؟ وأيُّ عذابٍ أشَدُّ مِنَ الخَوفِ والهَمِّ والحَزَنِ، وضِيقِ الصَّدرِ، وإعراضِه عن اللهِ والدَّارِ الآخِرةِ، وتعَلُّقِه بغيرِ اللهِ، وانقِطاعِه عن اللهِ، بكُلِّ وادٍ منه شُعبةٌ، وكُلُّ شَيءٍ تعَلَّقَ به وأحَبَّه مِن دونِ اللهِ فإنَّه يَسومُه سُوءَ العَذابِ.

ليس بالضرورة أن يكون في أماكن جميلة، وأماكن ترف ورغد من العيش حتى يشعر بالسعادة، النعيم حقاً نعيم القلب، قد يكون بعض الناس في حال من بحبوحة العيش لكنه في قلق دائم وشقاء ونكد وضيق.

وهذا جزاء وفاقا، فإن القلب متى ما انصرف عن الله -عز وجل- عذب بقدر هذا الانصراف، والاشتغال بغير الله من درهم، أو دينار، أو صورة، أو غير ذلك كامرأة، عذب بهذا الاشتغال بقدره ولا بد، وإذا أبحر في الدنيا وغفل وانشغل بها فإنه يصيبه من الوحشة والضيق بقدر ذلك، فإذا أراد أن يجلي ذلك عنه فعليه أن يرجع إلى موطنه الذي لا يصلح إلا به ولا يسكن إلا فيه.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿15﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان السِّياقُ للتَّرهيبِ؛ وَصَفَ عَذابَ الفُجَّارِ، فقال **(يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ)** أي: يُغمَسونَ فيها فيُباشِرونَ حرَّها، ويحترِقونَ بنارِها يومَ الحِسابِ والجَزاءِ على الأعمالِ، وهو يومُ القيامةِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: {يَصْلَوْنَهَا} ويعذبون [بها] أشد العذاب {يَوْمِ الدِّينِ} أي: يوم الجزاء على الأعمال.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ ﴿16﴾

(وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) أي: وما هم بخارِجينَ منها، بل هم مُلازِمونَ لها أبَدًا. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: أَيْ: لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا.

كما قال تعالى: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ [البقرة: 167] .

وقال سُبحانه: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ [الزخرف: 74 - 77]

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿17﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا عُلِمَ أنَّ الوعيدَ الأعظَمَ يومَ الدِّينِ، هَوَّل أمْرَه بالسُّؤالِ عنه إعلامًا بأنَّه أهلٌ لأن يُصرَفَ العُمُرُ إلى الاعتناءِ بأمرِه، والسُّؤالِ عن حقيقةِ حالِه سؤالَ إيمانٍ وإذعانٍ، لا سؤالَ كُفرانٍ وطُغيانٍ؛ لِيَكونَ أقعَدَ في الوَعيدِ به، فقال

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) أي: قال اللهُ تعالى مُعَظِّمًا ومُهَوِّلًا شأنَ يومِ القيامةِ: وما أعلَمَك بحقيقةِ ذلك اليومِ الَّذي يُحاسَبُ فيه النَّاسُ على أعمالِهم، ويُجازَونَ بحَسَبِها ؟!. موسوعة التفسير

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿18﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كانت أهوالُه زائدةً على الحَدِّ؛ كَرَّر ذلك السُّؤالَ لذلك الحالِ

(ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ) أي: ثمَّ ما أعلَمَك بحقيقةِ ذلك اليومِ العَظيمِ المهُولِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: ففي هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان.

عن أبي ذر -ρ- عن النبي -ρ-أنه قال : "إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ".

"السلسلة الصحيحة"

أي: يُقْسِمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم باللهِ ويَقولُ: لو كُنتُم تَعْلَمون ما أعلَمُ مِن عِظَمِ الأمرِ وهَولِه وشِدَّتِه، "لَضَحِكْتم قَليلًا ولَبَكيتُم كَثيرًا"، أي: لقَلَّ ضَحِكُكم ولَزاد بُكاؤُكم مِن هَولِ ما تَعلَمون، "وما تَلذَّذتم بالنِّساءِ على الفُرُشِ"، أي: ولا هَنِئَ لكم الاستِمتاعُ بزَوجاتِكم مِن الخوفِ والفزَعِ وهولِ الأمرِ وشدَّتِه، "ولَخَرَجتُم إلى الصُّعُداتِ"، أي: ولَتَركتُم بُيوتَكم وخرَجتُم في الطُّرُقِ والسُّبلِ، "تَجأَرون إلى اللهِ"، أي: تتَضرَّعون إلى اللهِ أن يُنجِّيَكم ويَغفِرَ لكم ويَعفُوَ عنكم. الدرر السنية

فقال أبو ذَرٍّ الغِفاريُّ رَضِي اللهُ عَنه: "لَوَدِدتُ أنِّي كنتُ شَجرةً تُعْضَدُ"، ومعناه: لَتَمنَّيتُ أنِّي كنتُ شَجرةً تُقطَعُ وتُستَأصَلُ مِن مَكانِها فتَفْنى وتَنتَهي.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ ﴿19﴾

(يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) أي: يومَ لا يَملِكُ فيه أحَدٌ نَفْعًا لِغَيرِه، ولا إنقاذَه مِمَّا هو فيه. موسوعة التفسير

☜لا تملك نفس -أيُّ نفس- لنفس شيئاً، أيُّ نفس لا ولد، ولا والد، ولا قريب، ولا حبيب، والأمر كله بيد الله -تبارك وتعالى-، فينبغي أن تكون الوجهة إليه، وتكون الصلة قوية به، والعمل في سبيله، والله المستعان .

وقال سُبحانَه: يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ [البقرة: 254] .

وقال عزَّ وجلَّ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا [لقمان: 33] .

وقال تبارَكَ وتعالى: وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى [فاطر: 18] .

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ -ρ-قال: "يا بَنِي هاشِمٍ، أنقِذُوا أنفُسَكم مِن النَّارِ، يا بَنِي عبدِ المطَّلِبِ، أنقِذُوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا فاطِمةُ، أنقِذي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فإنِّي لا أملِكُ لكم مِنَ اللهِ شيءً". صحيح مسلم.

(وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) أي: المُلْكُ والتَّصَرُّفُ يومَ القيامةِ لله وَحْدَه، لا يُنازِعُه فيه أحَدٌ مِن خَلْقِه، فهو وَحْدَه الَّذي يُحاسِبُ الخلائِقَ، ويُجازيهم بأعمالِهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة: 4] .

وقال سُبحانَه: الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا [الفرقان: 26] .

وقال تبارك وتعالى: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [غافر: 16] .

🗀لَقَدْ كَتَبَ اللهُ - تَعَالى - عَلَى كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ أَن يُقَادَ إِلَيهِ وَيُرجَعَ، فَيُلاقِيَهُ إِمَّا مُؤمِنًا عَزِيزًا كَرِيمًا بما أَسلَفَ مِنَ الصَّالحَاتِ، وَإِمَّا ذَلِيلاً مُهَانًا بما اقتَرَفَ مِن سَيِّئَاتٍ.

جَاءَ جِبرِيلُ إِلى النَّبِيِّ -ρ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعمَلْ مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَجزِيٌّ بِهِ، وَأَحبِبْ مَن شِئتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعلَمْ أَنَّ شَرَفَ المؤمِنِ قِيَامُ اللَّيلِ، وَعِزَّهُ استِغنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ" رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَحَسَّنَهُ الأَلبَانِيُّ.

🗀فَيَا أَصحَابَ العُقُولِ الرَّاجِحَةِ، وَالقُلُوبِ الوَاعِيَةِ، اِعمَلُوا لِيَومِ الحِسَابِ، وَلا يَغُرَّنَّكُم طُولُ الأَمَلِ فَتُسِيئُوا العَمَلَ، فَالموتُ يَأتِي بَغتَةً، وَمَلَكُ الموتِ يَأخُذُ عَلَى غِرَّةٍ، وَأَنتُم لِعِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ مَخلُوقُونَ: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:56].

🗀فَاستَقِيمُوا عَلَى صِرَاطِهِ، وَالزَمُوا عَتَبَةَ عُبُودِيَّتِهِ، ثُمَّ أَبشِرُوا وَأَمِّلُوا خَيرًا، وَاحذَرُوا أَن تَكُونُوا مِمَّن أَردَتهُم ظُنُونُهُم فَأَطلَقُوا فِي المعَاصِي جَوَارِحَهُم، فَخَابُوا وَنَدِمُوا، قال-: ρ- "مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ

لَيسَ بَينَهُ وَبَينَهُ ترجُمَانٌ، فَينظُرُ أَيمَنَ مِنهُ فَلا يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنظُرُ أَشأَمَ مِنهُ فَلا يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، فَينظُرُ بَينَ يَدَيهِ فَلا يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلقَاءَ وَجهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمرَةٍ، فَمَن لم يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ" صحيح الجامع.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ النَّعِيمَ المقِيمَ الَّذِي لا يَحُولُ وَلا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ النَّعِيمَ يَومَ العَيلَةِ، وَالأَمنَ يَومَ الحَربِ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسلِمِينَ وَأَحيِنَا مُسلِمِينَ، وَأَلحِقْنَا بِالصَّالحِينَ، غَيرَ خَزَايَا وَلا مَفتُونِينَ.

انتهى شرح السورة بفضل الله ومنته

سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت أستغفرك وأتوب إليك